

بدء العلاقات العلمية بين الهند والعرب

للبنافاة والطفافة التسلل عبر الحدود والالتجاء بملسك السنء ، مما زاء فى اهءام العرب بجارءهم ، وفى الوءء الذى كانء المالك الشرءىة للءولة الأموىة قء اسءمءء قوءءا واسءءءاءا لشن هءوم شامل برا وبحرا معا بعء أن انءظمء أمورها وسلسء صعاها باءء امرة حاكمها الحازم ذى البأس الشءىء الحءاء ابن يؤسف الءءفى ، فى ذلك الوءء سببء الصلءة الءءارىة بصورة مألوفة فى الءارىء القءىم والحءىء على السواء ، الءءءل السىاسى والعسكرى من ءانب العرب ، وذلك بأن بعض القراءنة اسءولسوا بالءرب من ءبىل على مركب كان ىنقل الى العراق عءءا من الأرامل والبءامى لبعض الءءار العرب الءىن وافتهم آءالهم فى ءزبرة سلان ثم اعءئر ءاهر ملك السنء بعءزه عن ءنفىء طلب الحءاء بمعاقبة المءرمىن وءسلىم الأسرى ، فلم ىكن منه هو الآخر الا أن ءءب ابن آءىه الشاب مءمء بن القاسم الءءفى لءزو السنء نهائىا (3) .

ءءل مءمء بن القاسم السنء فى سنة 89 هـ ووفى فى انءاء مهمءه ءوفىقا ءاما ، فانه ءمءن فى بحر ءمسة اعوام من القضاء على مملكة ءاهر وءءءها للمسلمىن من منابع نهر ءهلم بكشمىر فى الشمال الى البحر فى الءنوب ، الى ءءوء مملكة ءنوء (ءنوء) بالءرب من ملءان وءءوء ءءراء فى الشرق ومنذ ذلك الءىن ظل اءلىم السنء ءزاء من الءولة الأموىة ، ءعاقب على ءكمه عءء من الأمراء العرب ، سعى بعضهم لءوسىع نطاقه فى الشرق وعلى ساحل ءءراء فلم ىلقوا فى ذلك ءبىر نءاء ، ولكنهم على ءل ءال بقوا اقواء قاءرىن على آءماء الءوراء مالكىن لازمة الأمور فى الءائل .

وهكذا اصبءء للعرب علاءاء سىاسىة وطفءة مع الهند بعء أن كانء لهم علاءاء ءءارىة ءوىة معها فبما ءبل الاسلام ، وكان من المءءوم على هذه القاعءة الءءىة للعرب ءائل اراضى الهند أن ءصبء مبءا

من المءروف أنه لم ىكن هناك اسم واءء ىطلق على الشبه ءارة الهندو - الباكسءانىة بأكملها بل كانء الاءالىم المءءلفة ءعرف بأسمائها ءل على ءءة وربما شمل اسم العاصمة ءمىع المناطق الواءعة ءءء سلءءءها أو نفوءها . وكان نهر « السنء » الذى ىذكره العرب القءماء باسم « مهران » - مءروفنا باسمه الءالى الى أن امءء الىه نفوء أهل فارس فى العصر القءىم فسموه « هنءهو » ءرىا على عاءءهم فى اءءال السىن فى السنسكرىة بالهاء ، ولذلك امءلء ءءىرة فى اللغة الفارسىة القءىمة . ثم ءاء العرب فأءروا اسم « السنء » للأراضى الواءعة على ضءفى ذلك النهر ، وءءاوا ىطلقون « الهند » على ما وراءها (1) .

كان العرب ءء عرفوا الهند قبل الاسلام وأءبوها الى ءء انهم اءءءوا منها اسما لئسائهم ، ولكنهم انما عرفوا عءورها وأءارها وسىوفها وءمارها ولما كانء ءءارءهم عن طرىق البحر كان من الطبىعى أن ىءءصر اءصالهم على الشواطىء والسواءل ، ولاسىما الساحل الغربى والءنوبى ، لا أءل على ذلك من أسماء فى العربىة هى فى الأصل أسماء للامءنة الءى كانء ءسءورء منها مسمىاءها، مثل المءءل والهىل (2) ثم ءاء الاسلام فصارء هذه المءرفة والصلة الءءارىة من أهم ما وءه المسلمىن من عرب عمان والمناطق الساحلىة المءاورة لها الى شن الفاراء البحرىة بفىة ءأسىس ءعائهم ءكمهم على مواءع من ساحل السنء وءءراء ، ءهانة (ءانه) بالءرب من بومباى وبهروء (بروس) وءبىل بالءرب من كراءشى ، وكان ذلك فى عهد الءلىفة الءانى عمر بن الءطاب الذى كان شءىء الءءر من « من ءمل الءوء على العوء » ثم ءءررء مءاولة من هذا القبىل فى عهد عثمان أيضا ، ولكن لم ىكن لهذه الفزواء اثر ىذكر ، ومضى العرب فى هذه الاثناء قءما من نصر الى نصر ءءى تم لهم فءء بلاد فارس ءلها وصارء ءءوء ءولءهم الشرءىة ءءاءم ءءوء مملكة السنء الغربىة مباءرة بءىء ءسنسى

(1) الءءور السىء سلىمان الءءوى : عرب وهءءكى ءعلقاء ص 12 .

(2) على الءرءب ، العوء المسءورء من « ءورومءءل » كان العرب ىطلقون عليها « المءبر » أيضا ووفه « هال » أو « هىل » (بالعامىة : ءب هان) المسءورء من (رأس) هىلى أو « ابلى » بءنوب الهند بالءرب من ءورومءل ، كانء مباءة ومءىنة عامرة أيام ءزارة ابن بطوطة لها ، راءع الرءلة 81/4 .

(3) الفءوح للبلأزرى 431 - 432 و 435

خط لسير العلوم والآداب الهندية الى عاصمتهم ، ولكن الحركة — لأسباب طبيعية عامة — انها نمت وازدهرت في العهد العباسي الأول . أما في العهد الأموي فلا يلفت نظرنا الا ظواهر معينة ، هي بمثابة المقدمة لما نحن بصددده في مقالنا هذا .

كان العرب قد عرفوا من قبل الزط (جات) والميد وهما قبيلتان من قبائل السند عرفتا بالغزو والتهور والشراسة فجندهما الفرس ، وربما كثر احتكاكهما بالعرب حتى اننا نجد عبد الله بن مسعود يقول عن بعض من رآهم في صحبة النبي صلى الله عليه وسلم « رجال كأنهم الزط أشعارهم وأجسامهم » (سنن الترمذي ، باب الأمثال) مما يدل على أنهم كانوا معروفين لدى العرب تماما في ذلك الوقت (4).

ثم بعد أن تم فتح فارس على أيدي العرب انخرطت هاتان القبيلتان ولاسيما الزط في جنود الاسلام : استخدمهم علي رضي الله عنه لحراسة أموال البصرة في وقعة الجمل ، وانزلهم معاوية في مدن الشام الساحلية لمواجهة الروم ، وعمرهم وليد ابن عبد الملك في انطاكية (5) . هذا ما يتعلق بالعصر الذي سبق فتح العرب للسند ، أما بعد ذلك فقد تيسر للعرب أن يعرفوا لا الزط المحاربة فحسب ، بل السنديين عامة ومن أهم ما ساعد على ذلك نقل عدد كبير من العبيد والأماء أسرى الحرب الى العاصمة (x) وبعض المدن الكبيرة الأخرى ، وهناك بدأ العرب يتبعون خصائص وعوائد هذا العنصر الجديد بعناية

كبيرة ، كما أن أولئك الدخلاء اقبلوا على الأخذ بأسباب الحضارة العربية بجد واهتمام ، ولم يلبث العبيد من أهل السند أن بدأوا يساهمون مساهمة فعالة في الحوادث الجارية حتى أنه ذكر أن أحدا منهم (ابن زياد بن أبي كبشه) اشترك في قتل الخليفة الوليد بن يزيد في سنة 126 هـ (6) أما مدى سرعة تعريبهم واندماجهم في المجتمع والثقافة العربية فيمكن أن نقدرها بوجود علماء أجلاء أمثال ابن معشر نجيب بن عبد الرحمن السندي (7) وابن الاعرابي (8) ؛ ورجال الحكومة مثل السندي بن شاهك (9) وشعراء أمثال أبي عطاء السندي وأبي الأصلح (10) كلهم موال انحدروا من أصل سندي لم يتجاوز عهدهم جيلين و ثلاثة على فتح السند ، وقد استغنيت بذكرهم عن التعرض للذين نشأوا فيما بعد .

لا شك أن الارتقاء وغيرهم من عامة أهل السند لم يكونوا ليعرفوا العرب الا برطانتهم وجعلهم الجيم زاء وبعض الملح تتعلق بالمعجزات والخصيان منهم (11) وما الى ذلك من عجائب العوائد وغرائب الاخلاق كما اشرت اليه آنفا وربما كان وجودهم مثار التساؤل بين أهل الفكر عن مدى الحضارة والعلوم وحكمة الهند ومبعث تطلع الإذهان الى الوقوف عليها ، ولكن التبادل العلمي ونقل الآداب الهندية الى العربية إنما كان يتوقف — ولا غرو في ذلك — على الجمع بين الخاصة وأهل العلم من الطرفين العرب والهنود ، وهل يتأتى ذلك الا اذا استقرت الأحوال الداخلية

(4) يرجح أن الامام ابا حنيفة كان من سلالة هؤلاء الزط ، فانه ذكر أن جده زوطي كان من كابل (حسب الرواية المشهورة . راجع ابن خلكان وتهذيب الاسماء للنوي) نقل الى الكوفة بين أسرى الحرب أما ادعاء حفيده اسماعيل بن حماد ، الانتساب الى أسرة مالكة من الفرس فتلك محاولة معروفة حاولها كثير من الموالى لاثبات اصلتهم في العز الذي نالوه في الاسلام .

(5) البلاذري الفتوح : 375 — 379 .

» انظر قول ابي النجم المعجلي : علقت خودا من بنات الزط الخ (الاغاني)

(6) ابن الأثير 217/5 .

(7) شذرات الذهب 278/1 سمع عنه الواطدي بالمدينة .

(8) « كان أبوه زياد عبدا سنديا » ياقوت : معجم الادباء .

(9) السندي بن شاهك مولى جعفر المنصور ، كان اميرا على دمشق فأخرب سورها في فتنة ابي الهندام في سنة ست وسبعين ومائة في خلافة هرون وولي القضاء ببغداد وكانت وفاته هناك . ترجمته في مرآة الزمان نسخة دار الكتب المصرية الجزء السادس الورقة 42 ، وكان للسندي هذا ابن يسمى ابراهيم روى عنه الجاحظ كثيرا (البيان والتبيين 1 \ 141) .

(10) أبو عطاء معروف ترجمته في الاغاني وأبو الأصلح الهندي له ذكر في المرزباني 513 (« أبو الضلع » كذا في الفهرست 164) والحيوان 171/7 .

(11) البيان والتبيين (تحقيق عبد السلام هارون) 70/1 ، 74 ، والحيوان 118/1

وتفرغ اولو الامر لتشجيع الحركات العلمية ورعاية الادب وذويه ؟

كانت اواخر ايام بني امية ألوهن والاختلال والفتن اعتبها الانقلاب العباسي فلاقى أبو مسلم الخراساني بعض العناء في أخضاع منصور بن جمهور الكلبي ذلك الطاغية الذي كان قد اغتصب ولاية السند منذ زمن غير بعيد ، ولكنه نجح أخيرا في ضم هذه الولاية للسفاح على يد موسى بن كعب التميمي في سنة 134 هـ . وقد اقترن ظهور العباسيين بتقلب العاصمة من دمشق الى بغداد فازداد التقارب من السند جغرافيا ، مع ما هو معروف عن الخلفاء العباسيين وأعيان السلطنة في عهدهم من الميل الشديد الى الفرس والعجم وحضاراتهم وآدابهم .

لم تكد الأمور تنتظم في العهد الجديد حتى نرى وفدا من أهل السند يفد على السفاح ، وذلك قبل موته بثلاثة ايام (12) . لا نعلم اذا كان هذا الوفد يضم احدا من أهل العلم ، ولكن على كل حال لم يكن له اثر يذكر لمصادفة وصوله في وقت غير ملائم .

ثم استمرت الأحوال تنهيا لجلب العلوم من الخارج في عهد المنصور مما حفز أهل العلم في السند الى عرض ما لديهم ، فوصل احد منهم كان متضلعا في علم الهيئة والرياضيات ، الى بغداد في سنة 154 هـ ، فنتقدم الى الخليفة بكتاب «سدهانت» (السند هند x) الذي قام ابراهيم الفزاري بترجمته الى العربية (13) واطلاع العرب على «سدهانت» يعد نقطة هامة لا من حيث كونه بداية حسنة للتبادل العلمي بين الهند والعرب فحسب ، بل من حيث الآثار المترتبة على ذلك ايضا ، فانه وان يعلم بالضبط متى تعلم العرب «الأرقام الهندية» فالظنون أنهم تعلموها عن طريق ترجمة «سدهانت» الذي يحتوي اليابان الثالث عشر والرابع والعشرون منه على بسط وبيان لتلك الأرقام (14) . على كل حال نال «سدهانت» من اقبال العرب وتقديرهم ما كان سببا لرفع صيت الهند الى درجة عالية ، آية ذلك أنهم قاموا في مدة قصيرة بترجمة كتابين آخرين في علم الهيئة هما «ارجيهذ» (الأصل : آرية بهت) و«أركند» (الأصل كهنند اكهنديك Khanda-Khadyaka) . نقل الاول أبو الحسن الأهوازي والثاني يعقوب بن طاروق في سنة 161 هـ (15) .

(12) تاريخ اليعقوبي 433/2 .

x قال البحتري (د الجواب 160/2) : الست بالسند هند ذا بصر ان لم تفق حاسبيه تنتصف

(13) البيروني : كتاب الهند ص 208 .

(14) عرب وهندي تعلقات ص 134 هذه الأرقام مغروفة عند العرب بس «الأرقام الهندية» وعند الأفرنج بس «الأرقام العربية» [Arabic figures] لأنهم بدورهم أخذوها من العرب ، أعني عرب الأندلس وربما سماها عرب الأندلس «حساب القبار» لأن الهنود كانوا يرسمونها على التراب أو الرمل بدل اللوحة أو السبورة لتعليم الأولاد كما يشاهد ذلك في بعض أرياف الهند الى يومنا هذا . انظر قول الشاعر يصف التخت الذي يضرب عليه حساب الهند :

وقلم مداده تراب
في صحف سطورها حساب
يكثر فيها المحو والاضراب
من غير ان يسود الكتاب
حتى يبين الحق والصواب
وليس اعجام ولا اعراب
فيه ولا شك ولا ارتياب

(الحصري : زهر الآداب 90/2)

(15) هاك الالفاظ الهندية التي بقيت كمصطلحات علم الهيئة بالعربية : «كردجه» (الوتر المستوي) اصلها بالسنسكريتية «كرمجيا» ، «جيب» اصلها «جيو» ، «أوج» اصلها «أوج» بالجيم الفارسية ، «أرين» من «أجين» اسم لبلدة في وسط الهند ، «ادماسه» اصلها «ادهماسا» .

وعلى اثر هذه البداية الحسنة لابد ان الامراء واهل العلم في بغداد قد عرفوا واعترفوا ببراعة اهل الهند في ميادين اخرى ، ولاسيما الطب ، فلذلك نراهم يشيرون على هارون الرشيد ابان مرضه باستقدام الطبيب الهندي الشهير « منكه » (مانك) وورد الطبيب الهندي فنج في علاج الخليفة وحظي عنده ويقسي يشرف على نقل الكتب من اللغسة السنسكريتية (16) .

وفي هذه المرحلة اي بعد ان كان الطريق قد مهد لحركة نقل العلوم من الهند الى بغداد يطالعنا التاريخ بظاهرة قوية ، يجدر بنا ان نقف عندها لعلنا نكتشف حقيقة طالما غمضت على كثير من المؤرخين القدماء والمحدثين . وتلك الظاهرة هي التي اشار اليها ابن النديم بقوله :

« الذي عني بأمر الهند في دولة العرب يحيى ابن خالد وجماعة البرامكة واهتمامها بأمر الهند واحضارها علماء طبها وحكائها » (كذا / . الفهرست 345 .

فما هو مبعث هذه النزعة الى الهند وعلومها في نفوس البرامكة ؟

لنبحث عن اصل البرامكة حتى نصل الى جواب لهذا السؤال .

البرامكة من أصل بوذي لا مجوسي

المعروف عن البرامكة ان اجدادهم كانوا يتولون قبل الاسلام معبدا للمجوس ببلخ ، وكان « برمك » لقباً لرئيس سدنة ذلك البيت الذي كان يسمى « نوبهار » . اما اصل كلمة « برمك » من ناحية اللغة فلم يتعرض له القدماء ، وجاء المتأخرون من المؤرخين واصحاب المعاجم من الفرس فقالوا بان الكلمة مشتقة من المصدر « برمكيدن » اي المص بالفارسية وايدوا قولهم هذا برواية مؤداها ان اول « برمك » اسلم (بعد ان خرب قتيبة بن مسلم « نوبهار » في سنة 86 هـ) لما وقف امام الخليفة اضطر الى الاعتراف بانه كان يحمل معه سما في خاتمه حتى يمسه (بالفارسية : « برمك ») اذا وجد الموت خيراً من حياة الخزي ،

وهذه الرواية مختلفة بدليل ان المؤرخين مجمعون على ان « برمك » لقب قديم كان يلقب به رؤساء « نوبهار » قبل الاسلام بكثير . وقال بعض آخرون ان « برمك » اسم لمكان والنسبة اليه « برمكي » . واتى ابن الفقيه الهمداني وياقوت بتعليقين في منتهى الغرابة حينما قال الاول ان « برمكة » يعني حاكم مكة (17) وذلك لان معبد بلخ كان قد انشئ ليكون نظيراً لمكة ، وقال الثاني ان « بر » هنا بمعنى الابن وان « برمكة » اما يعني ابن مكة (18) وهذه الأقوال كلها ظاهرة البطلان لا تستحق التعليق عليها بشيء .

وذهب الكاتب الهندي عبد الرزاق مؤرخ « البرامكة » (باللغة الأردوية) الى ان اصل « برمك » هو « برمخ » - « بر » يعني « كبير » و « مخ » [magos باليونانية و « مجوس » بالعربية) يعني عبدة النار - وعلى هذا « برمك » يكون معناه « رئيس المجوس » وهذا القول يظهر انه قريب جدا الى الصواب ، مع انه لم يعرف بعد مثال آخر لابدال « الغين » « بالكاف » في التعريب ، الا انه قد بقي ان نتأكد اذا كان معبد بلخ معبدا للمجوس يعبدون فيه النار او معبدا للبوذيين يعبدون فيه الاصنام او « البد » على حد تعبير المؤرخين العرب .

من حسن الحظ ان بايدينا وصفا مسهباً لهذا المعبد عند المسعودي والهمداني وياقوت يمكننا ، اذا أمعنا النظر فيه ، من الاهتداء الى جواب على هذا السؤال وهك ما يقوله ياقوت عنه :

« قال عمر بن أزرق الكرمانى : كانت البرامكة اهل شرف على وجه الدهر ببلخ قبل ملوك الطوائف ، وكان دينهم عبادة الاوثان ... ونصبوا حوله (اي حول بيت النوبهار) الاصنام وزينوه بالديباج والحريسر وعلقوا عليه الجواهر النفيسة ... وكانت الفرس تعظمه وتحج اليه ، وتهدى له وتلبسه انواع الثياب وتنصب على أعلى قبته الأعلام ، وكانوا يسمون أعلى قبته « الاستن » وكانت مائة ذراع في مثلها وارتفاعها فوق مائة ذراع بأروقة مستديرة حولها وكان حول البيت ثلاثمائة وستون مقصورة ليسكنها خدامه وقوامه

(16) ابن أبي أصيبعة 33/2 .

(17) كتاب البلدان ص 323 « فسما سادنها الاكبر برمكا » اي انه باب مكة ووالي مكة فصار كل من ولى منهم ذلك يسمى برمكا .

(18) معجم البلدان (نوبهار) « كانوا يسمون السادن الاكبر « برمكا » لتشبيههم البيت بمكة يسمون سادنه ابن مكة فكان كل من ولى منهم السادنة برمكا .

وسدنته ، وكان على كل واحد من سكان تلك المقاصير خدمة يوم لا يعود الى الخدمة حولا كاملا ، ويقال ان الريح ربما حملت الحرير من العلم الذي فوق القبة فتلقته بترمز وبينهما اثنا عشر فرسخا ... وكانت ملوك الهند والصين وكابل شاه وغيرهم من الملوك تديسن بذلك الدين وتحج الى هذا البيت ، وكانت سنتهم اذا هم وافوه ان يسجدوا للصنم الأكبر ويقبلوا يد برمك .

هذا الوصف لياقوت في معجم البلدان (النوبهار) يطابق لفظا ما أورده الهمداني (البلدان ص 3 — 322) بحيث يصبح من المؤكد أنها استقياه من مصدر واحد وان لم يذكر هو الآخر اسم عمر بن أزرق الكرمانى كما فعله ياقوت هو الأول . كذلك يوافق هذا الوصف معنى ما جاء في مروج الذهب — 48/4 — للمسعودي (ايضا آثار البلاد للقرطوبى 221) ومما يجدر بالملاحظة والتنبيه عليه في هذا الوصف :

أولا : لم يرد فيه ذكر للنار حتى يقال ان النوبهار كان بيتا من بيوت النار .

ثانيا : بالمعكس نص فيه على ان معبد بلخ لم يتجاوز ان يكون بيتا لعبادة الأوثان والأصنام التي كان من بينها « الصنم الأكبر » الذي كانت سنتهم ، اذا هم وافوه ، ان يسجدوا له .

ثالثا : من المعروف ان « ملوك الهند والصين وكابل شاه » ولنصف اليهم نيزك طرخان ملك تركستان الذي جاء عنه في الهمداني وياقوت (وستقل هذه القطعة فيما بعد) أنه غضب من قبول البرامكة الاسلام وزحف اليهم بجيشه ونكل بهم كل هؤلاء الملوك لم يكونوا يدينون الا بالدين البوذي (Budhism) .

رابعا : ان (« الأستن » « آسبت » « است ») ليست الا اشكالا محرمة لكلمة « استب » بالأصل « استوب » (stupa) وهي تطلق على معبد البوذيين الذي أودع فيه رماد جثة بوذا ، وقد كان الرماد قسم ودفن داخل قباب مبعثرة في عدد من الممالك التي كانت البوذية سائدة فيها ، ولا تزال المعابد من هذا النوع موجودة في الهند منها « استوب سانجي » بالقرب من مسقط رأسي مدينة بوفال في وسط الهند . يظهر

ان الكتاب كانوا اعرف بكلمة « الأستن » اي العامود بالفارسية فحرفوا « استب » الى ذلك الشكل .

ثم هناك أدلة أخرى ترشدنا الى الجزم بأن معبد بلخ انما كان معبدا للبوذيين وهي :

(ا) ان بلخ جزء من اقليم خراسان وما وراء النهر ومن المحقق ان « على هذا المذهب السنية اي البوذية ، كان أكثر هل ما وراء النهر قبل الاسلام » (الفهرست 345) .

(ب) يزيد المسعودي في وصف النوبهار فيقول : « وقد ذكر بعض أهل الرواية والتفسير أنه قرأ على النوبهار ببلخ كتابا بالفارسية ترجمته : قال بوذاسف ابواب الملوك تحتاج الى ثلاث خصال عقل وصبر ومال واذا تحته بالعربية (19) كذب بوذاسف الواجب على الحر اذا كان معه واحدة من هذه الخصال ان لا يلزم باب السلطان » . اما « بوذاسف » فلاشك ان المراد منها « بوذا » لا غير ولعل أصلها « بودهاسطور » كما ذهب اليه المحقق زخاؤ (انظر مقدمة الترجمة الانجليزية لكتاب الهند) .

وقد وردت هذه الحكاية ايضا في مسالك الابصار (224/1) لابن فضل الله العمري وهناك « سوراشف » بدل « بوذاسف » مصحفا

(ج) قال العمري ايضا : « بناء منوشهر الهندي وكان يأتيه من الصائبة من يتقرب بالقرن » لا يستبعد ان يكون المراد من المتقربين بالقرن « الهندوس » لا غير بناء على ان البعض يرون ان أصل « هندو » هو « اندو » اي القمر (قارن المسعودي : « النوبهار ... بناء منوشهر ... على اسم القمر ») .

(د) قد ورد لهذا المعبد ذكر كمعبد للبوذيين في مذكرات السائح الصيني هوان كوانك الذي زار بلخ في القرن السابع الميلادي اي قبيل او بعيد فتح العرب لها (دائرة المعارف الاسلامية « Barmakids » .

فهل من شك في ان النوبهار لم يكن بيتا من بيوت النار يعبد فيه الجوس بل انما كان معبدا للبوذيين يعبدون فيه الأصنام او « البد » واذا وثقنا من هذا فليس من الصعب الاهتداء الى ان أصل النوبهار هو « نووهار » وهاه اسم معروف لمعبد البوذيين والخاتمة حوله ولا

(19) في مسالك الابصار : « ثم لما ملك الاسلام مدينة بلخ ، كتب تحت هذه الكتابة بالعربية ... الخ » .

هما المستشرقان زخاو (مقدمة الترجمة الانجليزية لكتاب الهند ص 31) وبرتھالد (Barthold) دائرة المعارف الاسلاميه (Barmakids) كما ان الاول هو الذي بحث عن الاصل السنسكريتي لكلمة « برمك » ثم تتبع نتائجها الكاتب الهندي الدكتور السيد سليمان الندوي الذي يرجع اليه الفضل في بسط الدلائل كما قد اقتبسها هنا من كتابه « عرب وهنديكي تعلقات 102 - 124 ، ثم يمضي الدكتور السيد سليمان الندوي خطوة اخرى فيلفت النظر الى ان القول بانحدار البرامكة من اصل ايراني ينتقض ايضا بما جاء به ابن الفقيه الهمداني (وياقوت حرفا بحرف) وهذا نصه :

« فلم يزل يليها برمك الى ان فتحت خراسان ايام عثمان بن عفان وقد صارت السدانة الى برمك ابي برمك ابي خالد فوجه برمك الى عثمان في الرهائن فورد المدينة ورغب في الاسلام فأسلم وسمي عبد الله ورجع الى ولده وصارت البرمكة في بعض ولده فكتب بعض الملوك الى برمك يعظم ما أتى من الاسلام ويدعوه الى الرجوع في دين آباءه فكتب اليه برمك اني انما دخلت فيه اختيارا وعلما بفضل من غير رهبة (ولا رغبة) (20) ولا أرجع الى دين بادي العوار متهنك للاستار فغضب الملك وزحف الى برمك بجع كثيف فكتب اليه برمك قد عرفت حبي للسلامة واني ان استنجدت عليك الملوك انجدوني فانصرف والا صرت الى لقائك ، فانصرف عنه ووادعه ثم لم يزل ذلك الملك واسمه نازك (نيزك) طرخان يغتر برمك ويطلبه حتى بيته وقتله وعشرة بنين له فلم يبق لهم برمك سوى برمك ابي خالد فحملته امه وهربت به وكان صغيرا الى بلاد قشمير ، فنشأ برمك وتعلم النجوم والطب وأنواع الحكمة ، وبقي على شركه واصابهم وباء فنتشعوا بمفارقة دينهم فكتبوا الى برمك فقدم عليهم فاجلسوه في موضع ابيه فتولى امر النوبهار فسمي برمكا وتزوج ابنة ملك الصغانيسان فولدت له الحسن وبه كان يكنى وخالدا وعمرا وام خالد ، وسليمان بن برمك من امراة غيرها من اهل بخارى وكان صاحب بخارى اهدى الى برمك جارية فولدت له كال بن برمك وام القاسم وبنسا اخرى (كتاب البلدان 323 - 324) .

يزال اقليم الهند الشمالية الذي ولد فيه بوذا يسمى « بهار » (Bihar) الى وقتنا هذا . وليس بمستغرب ان خفي الامر على العرب فانهم كانوا أعرف بكلمة « بهار » الفارسية فلذلك قالوا : « وتفسير النوبهار البهار الجديد لأن « نو » الجديد ، وكانت سنتهم اذا بنوا بناء حسنا او عقدوا بابا جديدا او طامتا شريفا كللوه بالريحان وتوجوا ذلك بأول ربحان يطلع في ذلك الوقت ، فلما بنوا ذلك البيت جعلوا عليه اول ما يظهر من الريحان ، وكان البهار فسمى نوبهار لذلك « (ياقوت) ، هذا وقد اتفق للعرب ابان فتحهم للسند « ان عرفوا معابد البوذيين من قبيل وهار ، وهاك مما اورده البلاذري في وصف واحد منها :

وكان بالديبل بد عظيم عليه دقل طويل وعلى الدقل راية حمراء اذا هبت الريح اطافت بالمدينة ، وكانت تدور ، والبذ نميما ذكروا منارة عظيمة يتخذ في بناء لهم فيه صنم لهم او اسنام ليشهر بها وقد يكون الصنم في داخل المنارة ايضا ، وكل شيء اعظموه من طريق العبادة فهو عندهم بد والصنم بد ايضا .

او لا تؤكد المقارنة بين وصف معبد البوذيين هذا وبين وصف النوبهار بان الواحد لم يختلف عن الآخر ؟

كذلك نرى العرب يخبطون خبط عشواء في تفسير « برمك » فانهم لم يكونوا ليتصوروا ان تكون كلمة « مك (مكا) » غير « مكة » فاضطروا الى القول ان البرامكة « وصفت لهم مكة وحال الكعبة بها ولما كانت ترميش ومن والاها من العرب يأتون اليها ويعظمونها فاتخذوا بيت النوبهار مضاهاة لبيت الله الحرام « (ياقوت) اما « بر » فقد كان في متناولهم كلمة « بور » بمعنى الابن بالفارسية فلجأوا اليها . ثم جاء المؤرخون واللغويون من الفرس فلم يكن منهم الا ان اعتمدوا على علمهم باللغة الفارسية فتخرصوا بان تكون « برمك » مشتقة من « برمكين » ثم دعموا هذا التخرص برواية مختلفة كما مر . ولكن الحقيقة التي تنسجم « وهار » واباها هي ان « برمك » اصلها باللغة السنسكريتية « برمك » ومعناها الصدر او ذو الرئاسة العليا ، لم يلقب بهذا اللقب احد من سدنة بيوت النار او معابد الجوس ، بل انما اخص به رؤساء النوبهار لأسباب ذكرناها آنفا .

ولعل من الواجب في هذا المقام ان اثبت ان اول من اشار الى كون « النوبهار » معبدا للبوذيين (وهار)

(20) كذا . زيادة في ابن الفقيه لا توجد في ياقوت .

الكتب من السنسكريتية (الفهرست 2/45) ثم انظر الى جعفر البرمكي يقدم صالح بهلة الى الرشيد لمعالجة ابن عمه ابراهيم بن صالح (21) ويمنح اباان الشاعر جائزة قدرها مائة الف درهم على نظمه قصة كليلة ودمنة (22) اما تصب السبق في هذا الميدان فكان ليحيى بن خالد - حفيد ابي خالد الذي نشأ في بلاد قشمير وتعلم هناك « النجوم والطب وأنواع الحكمة » فانه هو الذي جلب من الهند علماء واطباء امثال بهلة ومنكة وبازيكر قمبرقل وسندباد الذين اتاموا ببغداد ، وربما اسلم بعض اولادهم مثل صالح بن بهلة والذين عرفوا العرب الطب والبلاغة عند اهل الهند (23) ، ولكن اهم الاعمال التي تمت على يدي يحيى بن خالد اطلاقا هو ارساله رجلا في بعثة علمية الى الهند « ليأتيه بمقايير موجودة في بلادهم وأن يكتب لسه اديانهم » (الفهرست 345) فان التقرير الذي وضعه هذا البعث ربما كان هو المرجع الوحيد للعرب والمسلمين في كل ما يتعلق بالموضوع طوال مدة قرنين الى ظهور ذلك النابغة المحقق ابي ریحان البيروني . وقد وقع في يد ابن النديم نسخة من هذا التقرير مكتوبة « يوم الجمعة لثلاث خلون من المحرم سنة تسع وأربعين ومائتين » ومطابقة حرفا حرفا نسخة أخرى بخط يعقوب بن اسحق الكندي ، اورد منه ابن النديم مقتطفات تتضمن وصفا لبعض المعابد وقرق الهنود (الفهرست 345 - 349) ونجد بمقارنة بعض اجزاء هذه المقتطفات بما جاء في كتاب البدء والتاريخ (9/4 الى 19) أن مؤلفه مطهر بن طاهر المقدسي ، ربما اقتبس من ذلك المصدر نفسه . ثم ان بيان مطهر ابن طاهر المقدسي كانه جزء مما جاء (مترجما بالفارسية) في كتاب زين الاخبار لكرديزي في هذا الباب (24) وقد نص الكرديزي على أنه أخذ عن كتاب التواريخ لأبي عبد الله محمد بن أحمد الجيهاني وزير بني سامان (اوائل القرن الرابع الهجري) ويذهب البروفسور مينورسكي الى أن الجيهاني ربما اعتمد بدوره على كتاب المسالك الكبير (اصل المختصر الذي نشره دي غويه) لابن خردادبه . هذا وقد عثرت اخيرا على مقطوعتين في كتاب اخبار الزمان المنسوب الى المسعودي (القاهرة 1938 م ص 27)

هذا وقد جاء في النويري (نهاية الارب 29/12) عن محمد بن العباس المسكي عن الاسباب التي حملت البرامكة على اللجوء إلى الهند ما هو اقرب الى الصواب فانه يقول : « لما قلت الاموال في ايديهم (الامويين) شرعوا في مصادرات الرعايا واخذوا الاموال من غير وجوهها وتعرضوا الى اموال الاوتاف والايتام فتعرض ولاة خراسان لبرمك ولولده وطالبوهما بالاموال وكان تحت يد برمك اوقاف جليلة فهرب هو وولده من اعمال خراسان الى بلاد الهند فاتاموا بها الى ان ظهرت الدولة العباسية ... ثم قدم خالد بن برمك واخوه الحسين واهلهما على المنصور ، ابي جعفر لما انضت الخلافة اليه فاصطنعهم وادناهم وتربهم الخ (نفس الرواية في صبح الاعشى 126/2)

اولا يجدر بنا أن نتساءل : لماذا هربت ام ابي خالد الى بلاد قشمير ؟ لان اصل البرامكة كان من الهند لا من ايران ولا يخفى ان قشمير كانت مركزا من مراكز البوذية مثل خراسان وتركستان وهناك نشأ برمك ابو خالد على دين آباءه . لاشك ان الفرس ادعوا انتماء البرامكة الى جاماسب وزير كستاسب ليثبتوا انها اسرة ايرانية عريقة في الوزارة ، كما ان العرب حاولوا ضم عظمة البرامكة الى انفسهم بدعوى ان ام خالد جلبته من عبد الله اخي قتيبة لكنها دعاوا بقيت موضع الشك الى ايامنا هذه . اما الماع الشعراء الى عبادة النار في معرض هجو البرامكة فمن السهل جدا عدم الاخذ به لجهل العرب عامة بالفرق بين المجوس والبوذيين ولاطلاقتهم « المجوس » على المعجم كلهم . واخيرا لا ننسى انه كان في مصلحة البرامكة التضامن مع الفرس لاغراض سياسية ظاهرة .

انن يتضح لنا كل الموضوع تلك الظاهرة القوية التي تستوقف كل من يتتبع حركة نقل العلوم والآداب الهندية الى بغداد ، وهي عناية البرامكة القائمة بهذا الموضوع ، فاننا نراهم يستخدمون جميع الوسائل الممكنة لعرض ما للهند على العرب وهم في ذلك يبدون كأنهم يعرضون شيئا من عندهم على غيرهم . انظر اليهم يستقدمون ابن دهن فيمهدون اليه بإدارة المستشفى المعروف باسمهم والاشراف على ترجمة

(21) ابن ابي اصيبعة 34/2 .

(22) الجهشيارى 259

(23) البيان والتبيين 1 / 92 — منكه كان صحيح الاسلام ، كذا في الحيوان 213/7 .

(24) V. Minorsky: Gardizi on India, Bulletin of Lond

on, School of Oriental Studies, 1948, XII/3 & 4.

كانها اصل الترجمة الواردة في كرديزي (البندان 41 و 42) .

الهنود في العلوم والفنون المختلفة ، كما بسطها الجاحظ في رسالة فخر السودان على البيضان ، وكما يجملها قوله : « انها الامم المذكورون من جميع الناس اربع : العرب وفارس والهند والروم » (البيان والتبيين 1 / 137) اما استقصاء نتائج هذه الحركة فهو موضوع مستقل لا سيما اذا تفكرنا انها استمرت فيما بعد الى ان بلغت ذروتها في شخصية البيروني الذي مر ذكره آنفا .

فهذا هو الجو الذي ازدهرت فيه حركة نقل العلوم والآداب الهندية الى العرب وانما قصدنا الى ابراز بعض العوامل التي ساعدت في قيامها ، ولاشك انها بدأت قوية بحيث تكونت للعرب في اوائل القرن الثالث للهجرة فكرة واضحة جلية عن مدى براعة

البرانسيس (جبال) :

جبال البرانس ويقول لها العرب ايضا جبال البرنات ويقولون اذا تجاوزت معابر البرانصة فاعلم انك قد دخلت في افريقية (الحلل السندسية في الاخبار والاثار الاندلسية لشكيب ارسلان ج 1 ص 24 ط مصر 1355 - 1936) وذكر ارسلان انها تسمى ايضا الجبل الحاجز او الفاصل (ص 36) ويسمون جبال فشتالة بجيبيل الشارات .